

المحور الأول: مدخل قراءة عامة ومصطلحية للمادة (التعبير الشفهي، التعبير الكتابي، التعبير بوصفه رسالة، التعبير وأثره في عملية التواصل..)

مقدمة:

يُعدّ التعبير من أهم الكفايات اللغوية التي يُبنى عليها التواصل البشري، ويُنظر إليه اليوم في المناهج التعليمية الحديثة لا بوصفه مجرد مهارة لغوية، بل كأداة رئيسة لتشكيل الفكر والتواصل، وبناء العلاقات الاجتماعية والثقافية، ومن هذا المنظور، يتجاوز التعبير حدود الأداء اللغوي البسيط إلى كونه فعلاً معرفياً وثقافياً مركباً، ينطوي على دلالات متعددة تتصل بالهوية، والمعنى، والسياق.

ولأنّ التعبير يتخذ أشكالاً متعددة، أبرزها التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، فإن فهم هذه الأشكال يقتضي العودة إلى المدخل المفاهيمي الذي يحدد طبيعة كل نوع، ووظائفه، وآليات اكتسابه، والتمييز بينه وبين غيره من المفاهيم المتقاربة مثل "الإنشاء"، "الإلقاء"، أو "الكتابة الوظيفية".

أولاً: التعبير كمفهوم شامل

يُعدّ التعبير من أكثر المفاهيم اللغوية ارتباطاً بعملية التواصل، بل إنه يمثل حجر الزاوية الذي تُبنى عليه كل الممارسات الخطابية والتفاعلات اللغوية في المجتمع، فالتعبير ليس مجرد عملية نقل ميكانيكية للغة، بل هو فعل ذهني ولغوي وثقافي متكامل، يتطلب من المتكلم أو الكاتب توظيف مجموعة من القدرات والمهارات المعرفية واللغوية والنفسية والسياقية في آنٍ واحد.

1. التعبير كعملية مركّبة: في جوهره، يقوم التعبير على نقل المعنى من المرسل (المتكلم أو الكاتب) إلى المتلقي (المستمع أو القارئ)، باستخدام وسائط لغوية أو غير لغوية، بهدف إيصال فكرة، أو التأثير في موقف، أو تبادل المعرفة والمشاعر، وهذه العملية تمر بعدة مراحل أساسية:

- **مرحلة التفكير:** حيث يُنتج الذهن المادة المعرفية أو الشعورية التي يُراد التعبير عنها.
- **مرحلة التشكيل اللغوي:** حيث تتحوّل الفكرة إلى بنية لغوية ملائمة (كلمات، تركيب، أساليب...).
- **مرحلة التمثيل التعبيري:** التي تتخذ شكلاً معيناً: شفهيّاً، كتابيّاً، جسديّاً، أو حتى بصريّاً.
- **مرحلة التلقي والتأويل:** حيث يستقبل المتلقي الرسالة ويفكّكها ويفهمها في ضوء السياق.

وبذلك، لا ينحصر التعبير في المهارات اللغوية الظاهرة، بل يشمل ما يُعرف بـ العمليات ما وراء اللغوية، مثل: التخطيط، التنظيم، التسلسل المنطقي، اختيار الأسلوب، مراعاة السياق والمتلقي، وغيرها.

2. أشكال التعبير: تأخذ عملية التعبير أشكالاً متعددة، تبعاً لوسيلة التواصل:

- ✓ التعبير الشفهي: كالحوار، والنقاش، والخطابة، والشرح، والإلقاء.
- ✓ التعبير الكتابي: كالإنشاء، والمقال، والرسالة، والتقارير، والسرد.
- ✓ التعبير غير اللفظي: مثل تعابير الوجه، وحركة اليدين، والإيماءات، ولغة الجسد.
- ✓ التعبير الرمزي أو البصري: كالرسومات، والرموز، والصور المستخدمة في التواصل المرئي.

ويُظهر هذا التنوع أن التعبير ليس نشاطاً لغوياً فحسب، بل هو سلوك تواصلية متكامل، يستخدم الإنسان من خلاله كل وسائله وقدراته للتأثير في الآخر أو التفاعل معه.

3. تعريف التعبير في ضوء الكفايات: استناداً إلى ما سبق، يمكن اقتراح تعريف شامل للتعبير على النحو التالي، التعبير هو القدرة على إنتاج لغة منطوقة أو مكتوبة أو رمزية تتقل أفكاراً أو مشاعر أو معلومات من شخص إلى آخر، عبر بنى لغوية وسياقية متماسكة، تراعى فيها مقتضيات الموقف التواصلية، وخصائص المتلقي، وهدف الرسالة، بهذا المعنى، يُصبح التعبير تجلياً لكفاية عليا تشمل:

- الكفاية اللغوية: امتلاك أدوات اللغة من نحو، وصرف، ومعجم.
- الكفاية التواصلية: معرفة كيفية استعمال اللغة في المواقف المختلفة.
- الكفاية التداولية: اختيار الأسلوب المناسب للسياق.
- الكفاية الثقافية: إدراك القيم والمعايير الثقافية المؤثرة في التواصل.

4. التعبير في السياق التعليمي: في إطار الممارسة التعليمية، يُنظر إلى التعبير بوصفه أحد أهداف تعلم اللغة ونتائجها في الوقت نفسه، فتمكين المتعلم من التعبير عن ذاته يُعد مؤشراً حقيقياً على اكتسابه للغة، ومقدرته على توظيفها في الحياة الواقعية، كما أن تطوير مهارات التعبير يُسهم في:

- ✓ تعزيز القدرات الكتابية والشفهية.
- ✓ تنمية الفكر المنطقي والحس الجمالي.
- ✓ بناء الهوية الفردية والتفاعل الاجتماعي.
- ✓ تطوير القدرة على الإقناع والحجاج.

يمثل التعبير في مجمله عملية ذهنية-لغوية-اجتماعية تتطلب من الفرد استعمال اللغة في بعدها الرمزي والتداولي والتواصلية، بغرض التفاعل مع المحيط، وصناعة المعنى، وبناء الجسور مع الآخرين،

ومن هنا تتبع أهميته في المنهاج التربوي، كأداة لبناء المتعلم المفكر، والمتواصل، والمُنتج للخطاب، لا مجرد متلقٍ له.

ثانيًا: التعبير الشفهي

يُعدّ التعبير الشفهي من أقدم وأهم أشكال التواصل الإنساني، وهو الشكل الأول الذي يكتسبه الإنسان طبيعيًا منذ سنواته الأولى، وقبل أن يتعلّم الكتابة والقراءة، وتكمن أهميته في كونه وسيلة الإنسان الفطرية للتفاعل مع محيطه، وإبلاغ أغراضه، وتكوين علاقاته، وممارسة وجوده في المجتمع.

1. المفهوم والخصائص: يُقصد بالتعبير الشفهي القدرة على إنتاج اللغة منطوقة للتعبير عن فكرة أو موقف أو شعور أو رغبة في سياق تواصلٍ معين، وبطريقة مفهومة للمستمع، ويقوم هذا النوع من التعبير على استخدام الصوت البشري بوصفه أداة رئيسية لنقل المعنى والتأثير في المتلقي، ومن أبرز الخصائص التي تميز التعبير الشفهي عن غيره من أشكال التعبير الأخرى:

- **الفورية والآنية:** إذ يحدث في لحظته دون تخطيط كتابي سابق في الغالب، ويستلزم استجابة آنية من الطرف الآخر.
- **الطابع التفاعلي:** يتم عادة في سياقات تواصلية حية، بين متحدث ومستمع، بما يتيح تغذية راجعة مباشرة (إيماءة، تعبير وجه، تعليق شفهي...).
- **اعتماده على الصوت والنبذة:** حيث تؤثر طريقة النطق، ونبذة الصوت، وسرعة الحديث، ونبرات الانفعال، في معنى الرسالة وقوة تأثيرها.
- **المرونة والعفوية:** فغالبًا ما يتسم بالتلقائية، مما يسمح بحرية التعبير، لكنه في الوقت نفسه قد يفنقر إلى التنظيم الصارم الموجود في النصوص المكتوبة.
- **الارتجال وضبط الانفعال:** يتطلب من المتحدث قدرة على التفكير اللحظي، واختيار الألفاظ المناسبة، وضبط المشاعر لتجنب سوء الفهم أو الإحراج.
- **دور لغة الجسد:** كالإيماءات، وتعبيرات الوجه، ونظرات العين، وحركات اليدين، وهي عناصر داعمة تُثري الرسالة وتُساعد على فهمها.

2. دوره في التواصل:

يُعدّ التعبير الشفهي الوسيلة الأكثر شيوعًا وفاعلية في التواصل الإنساني اليومي، فهو يُستخدم في مختلف السياقات الحياتية، من المواقف الشخصية البسيطة إلى البيئات المهنية والأكاديمية، وتتجلى أهميته في كونه:

- أداة الحوار والتفاعل الاجتماعي: فالتعبير الشفهي يمكّن الأفراد من بناء علاقات شخصية ومهنية، ويُعدّ أساسًا لفهم الآخر وإيصال الذات.
- وسيلة تعليمية تربوية: يُستخدم في الفصول الدراسية لشرح المفاهيم، وإجراء النقاشات، وتبادل الآراء بين المعلمين والمتعلمين.
- وسيلة مهنية وأكاديمية: من خلال العروض الشفوية، والمناقشات العلمية، والمقابلات، والاجتماعات.
- وسيلة فنية وجمالية: في الخطابة، والإلقاء الشعري، والمسرح، والمناظرات التي تُظهر جماليات اللغة وقدرات المتكلم البلاغية.

ومن أبرز الأشكال التي يتخذها التعبير الشفهي في الحياة العامة والتعليمية:

نوع التعبير الشفهي	السياق أو الوظيفة
الحوار والمناقشة	تبادل الأفكار بين فردين أو أكثر.
الخطابة والإلقاء	تقديم فكرة أو موضوع أمام جمهور بطريقة منظمة.
العرض الشفوي	شرح مشروع أو بحث أو مقترح في سياق مهني أو دراسي.
التعبير الوجداني أو التفاعلي	نقل مشاعر ومواقف شخصية بشكل تلقائي.
الإقناع أو الحجج	محاولة التأثير في رأي الآخر عبر الحجج والأدلة.

3. التعبير الشفهي في التعليم: يلعب التعبير الشفهي دورًا حيويًا في تنمية مهارات المتعلم التواصلية والثقافية، ولهذا تسعى المناهج الحديثة إلى إدماجه في جميع المواد، وليس حصره في حصص اللغة فقط، وربطه بالمواقف الحياتية الواقعية لتحفيز الاستخدام الطبيعي للغة، وتقييمه ليس فقط على أساس اللغة السليمة، بل بناءً على الكفاءة التواصلية الشاملة: (وضوح الفكرة - تماسك الخطاب - احترام المتلقي - سلامة الأداء).

كما يُعتبر تدريب المتعلم على التعبير الشفهي وسيلة فعالة لتعزيز الثقة بالنفس والقدرة على الإلقاء، وتطوير مهارات التفكير السريع والمنظم، وبناء الشخصية اللغوية والتفاعل الاجتماعي الإيجابي.

إن التعبير الشفهي لا يُعد مجرد مهارة لغوية بل هو أداة جوهرية للتفكير والتفاعل والتأثير، وكلما تمكّن الفرد من أدوات التعبير الشفهي، كلما ازدادت قدرته على إيصال فكره والتفاعل مع محيطه بفعالية،

ومن هنا، تبرز أهمية تطوير هذه المهارة في مختلف المراحل التعليمية، بوصفها مكونًا أساسًا من مكونات الكفاءة اللغوية والتواصلية الشاملة.

ثالثًا: التعبير الكتابي

يُعدّ التعبير الكتابي من أهم وسائل التواصل بين البشر، فهو الجسر الذي ينقل الأفكار والمشاعر والمعارف من عقل الكاتب إلى القارئ، ومن خلاله يستطيع الإنسان أن يعبر عن ذاته، ويشرح مواقفه، ويؤثر في محيطه بطريقة منظمة وواضحة، ففي عالم يعتمد على الكلمة المكتوبة في التعليم، والإعلام، والإدارة، والتواصل اليومي، أصبح من الضروري إتقان مهارات الكتابة، ليس فقط من أجل النجاح الأكاديمي، بل أيضًا لتحقيق حضور فعّال في المجتمع، لذلك، فإن التعبير الكتابي ليس مجرد واجب مدرسي، بل هو فن وعلم يُنمى بالممارسة والتفكير، ويُقوّم بالمراجعة والتحسين.

1. المفهوم والخصائص: التعبير الكتابي هو القدرة على صياغة الأفكار والمشاعر والمعارف في شكل نص مكتوب يعكس وضوحًا في التفكير، وسلامة في اللغة، وتنظيمًا في البناء، ويُعد من أهم المهارات اللغوية التي تُمكن الفرد من التواصل بفعالية في مختلف المواقف الحياتية، ومن أبرز خصائص التعبير الكتابي:

- **التخطيط المسبق والتنظيم:** لا يتم بشكل عشوائي، بل يحتاج إلى تحديد الموضوع، وترتيب الأفكار وفق تسلسل منطقي.
- **الالتزام بقواعد اللغة:** يجب مراعاة الإملاء الصحيح، والنحو السليم، واستخدام الأساليب اللغوية المناسبة.
- **الدقة والتأنى:** التعبير الكتابي أقل عفوية من التعبير الشفهي، ويتطلب اختيار الكلمات بدقة.
- **قابلية المراجعة والتعديل:** من أهم مزاياه أنه يمكن للكاتب إعادة النظر في نصه وتعديله حتى يصل إلى الصورة الأفضل.
- **وضوح الفكرة والغرض:** ينبغي أن يكون النص هادفًا، يحمل فكرة رئيسية واضحة مدعومة بأمثلة أو حجج حسب نوع النص.

2. مجالات التعبير الكتابي: تتنوع مجالات التعبير الكتابي بحسب الغرض من الكتابة، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

أولًا: الكتابة الإنشائية: وهي التي تهدف إلى تنمية قدرات المتعلم على التعبير الحر عن أفكاره ومشاعره، وتشمل:

✚ **الكتابة الوصفية:** تهدف إلى تصوير الأشخاص أو الأماكن أو الأحداث بدقة من خلال استخدام الصور البلاغية والتفاصيل الحسية.

✚ **الكتابة السردية:** تقوم على سرد الأحداث بطريقة مشوقة، مثل كتابة القصص والروايات والسير الذاتية.

✚ **الكتابة الحجاجية:** تقوم على عرض رأي أو موقف معين وتدعيمه بالحجج والبراهين لإقناع القارئ.

ثانيًا: الكتابة الوظيفية: تُستخدم في الحياة اليومية والمهنية، وتهدف إلى نقل معلومات أو أداء وظائف محددة، وتشمل:

✚ **الرسائل:** الرسمية أو الشخصية.

✚ **التقارير:** مثل تقارير العمل أو الدراسة.

✚ **المقالات:** التي تُنشر في الصحف أو المجلات وتتناول مواضيع متنوعة بأسلوب علمي أو تحليلي.

ثالثًا: الكتابة الإبداعية: تُعبر عن الجانب الجمالي والفني في اللغة، وتُظهر مهارات الكاتب في الابتكار والخيال، وتشمل:

✚ **الشعر:** بما يحمله من صور فنية وإيقاع موسيقي.

✚ **القصة:** بتنوع أنواعها (القصيرة، الطويلة، الخيالية، الواقعية).

✚ **الخاطرة:** وهي تعبير ذاتي مختصر عن مشاعر أو مواقف خاصة بأسلوب أدبي جميل.

إن التعبير الكتابي ليس مجرد مهارة مدرسية، بل هو أداة فكرية وتواصلية ضرورية في حياة الإنسان، تمكنه من نقل أفكاره والتأثير في الآخرين، لذا، ينبغي تنميته بالتدريب المستمر، والقراءة الواسعة، والممارسة الواعية لمختلف أنواعه.

رابعًا: التعبير بوصفه رسالة

لا ينبغي النظر إلى التعبير، سواء كان شفهيًا أو كتابيًا، على أنه مجرد نشاط لغوي عفوي أو تمرين مدرسي تقليدي، بل يجب فهمه بوصفه فعلاً تواصلياً متكاملًا، يقوم على إرسال رسالة من مرسل إلى متلقي ضمن سياق محدد، باستخدام وسيلة مناسبة، ومن هذا المنطلق، يمكن تحليل التعبير ضمن إطار النموذج الاتصالي عند رومان جاكبسون الذي يضم ستة عناصر رئيسية:

1. المرسل: وهو الشخص الذي يملك فكرة أو موقفًا أو شعورًا يريد نقله إلى الآخرين، سواء كان كاتبًا أم متحدًا، نجاح التعبير يبدأ من وعي المرسل بفكرته، ووضوح هدفه، ودقة اختياره للأسلوب المناسب للتأثير في المتلقي.

2. الرسالة: وهي مضمون التعبير، أي المحتوى الذي يتضمن المعنى الذي يريد المرسل توصيله، وتتطلب الرسالة وضوحًا، وترابطًا في الأفكار، وعمقًا في المعالجة، حتى تحقق غايتها التواصلية، في التعبير الكتابي، تشمل الرسالة أيضًا البنية اللغوية، وتنظيم الفقرات، والأسلوب البلاغي أو التقريري وفقًا لنوع النص.

3. لوسيط أو القناة: وهي الأداة التي يتم من خلالها نقل الرسالة، وتتمثل غالبًا في اللغة (شفوية أو مكتوبة)، وتتفاوت وسائل التعبير بحسب السياق: فقد تكون محادثة مباشرة، أو مقالًا، أو خطابًا، أو منشورًا على وسائل التواصل الاجتماعي، وهنا تظهر أهمية اختيار الوسيط المناسب لتقوية أثر الرسالة.

4. المتلقي / المرسل إليه: وهو الشخص أو الجمهور الذي يتلقى الرسالة، ونجاح التعبير يعتمد على قدرة المرسل على تحليل خصائص المتلقي (مثل العمر، المستوى المعرفي، الخلفية الثقافية)، واختيار اللغة والأسلوب والدرجة المناسبة من الرسمية أو البساطة، والتعبير الجيد لا يُكتب فقط من وجهة نظر الكاتب، بل يأخذ بعين الاعتبار من سيقراه أو يسمعه.

5. الشفرة / السنن: هي النظام الرمزي الذي يستخدمه المرسل لترميز الرسالة، والذي يجب أن يكون مشتركًا بين المرسل والمتلقي حتى تنجح عملية التواصل، بمعنى آخر، الشفرة هي اللغة أو النظام اللغوي الذي تُصاغ به الرسالة، وتشمل الكلمات، والقواعد، والإشارات، والأساليب التعبيرية، بل وأحيانًا اللهجة أو الرموز الثقافية.

6. السياق / المقام: وهو الإطار الذي تتم فيه عملية التواصل، ويشمل الظروف الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والنفسية التي تحيط بالمرسل والمتلقي، فالنص المكتوب في سياق رسمي يختلف عن النص الإبداعي أو العفوي، وكذلك تختلف الكتابة الموجهة للأطفال عن تلك الموجهة للأكاديميين أو الجمهور العام.

انطلاقًا من هذا النموذج، يصبح التعبير أكثر من مجرد عملية نقل معلومات، بل هو فعل استراتيجي يهدف إلى الإقناع عبر تقديم الحجج المنطقية والعاطفية لتغيير موقف المتلقي أو التأثير فيه، الإخبار بنقل معلومات أو أخبار أو تعليمات بشكل واضح ودقيق، الإبداع الجمالي من خلال استخدام الصور البلاغية والأساليب الأدبية التي تثير الخيال والعاطفة، التأثير والتفاعل بدعوة المتلقي إلى التفكير، أو الحوار، أو اتخاذ موقف معين، وهذا يعني أن التعبير الجيد لا يُقاس فقط بصحة اللغة أو جمال الأسلوب، بل أيضًا

بمدى نجاحه في إيصال الرسالة وتحقيق هدفها في السياق المناسب، فعندما يُدرك المتعلم أن كل تعبير يقوم به هو رسالة موجهة في سياق معين، يصبح أكثر وعيًا بمسؤوليته في استخدام اللغة بشكل فعال، ويطوّر مهاراته الاتصالية بطريقة تُسهم في بناء شخصيته، وتعزيز حضوره في المجتمع.

خامسًا: التعبير وأثره في عملية التواصل

يُعدّ التعبير — سواء أكان شفهيًا أم كتابيًا — عنصرًا جوهريًا في العملية التواصلية، فهو الوسيلة التي تتحول بها الأفكار والعواطف والمواقف إلى رسائل مفهومة، وبدونه، تبقى النوايا والمعاني حبيسة الذهن، غير قادرة على تحقيق أي تفاعل مع الآخر، من هنا، يصبح التعبير الوعاء الحامل للرسالة والمعنى، وهو ما يجعله عاملاً حاسماً في جودة وفعالية التواصل الإنساني على كافة المستويات: الاجتماعية، التربوية، المهنية، والثقافية، وعليه آثار التعبير الجيد في التواصل يتجلى في:

1. تعزيز العلاقات الاجتماعية: التعبير الواضح والدقيق يسهم في بناء جسور من التفاهم والثقة بين الأفراد، ويقلل من سوء الفهم، ويقوّي العلاقات الإنسانية في المحيط الأسري، والمهني، والمجتمعي.

2. مرآة لنضج الفرد لغويًا وفكريًا: فكلما كان التعبير أكثر عمقًا واتزانًا وتنظيمًا، دلّ ذلك على تطوّر التفكير، وثراء اللغة، وسعة الخيال، مما يعكس نضج شخصية المتكلم أو الكاتب.

3. تنمية مهارات التفكير: من خلال تنظيم الأفكار وتحليلها وعرضها بترتيب منطقي، يُسهم التعبير في تدريب العقل على التفكير المنطقي، وتطوير مهارات النقد، والاستنتاج، والربط بين المعاني.

4. تعزيز الثقة بالنفس: القدرة على التعبير الجيد تمنح صاحبها ثقة أكبر في ذاته، وتجعله قادرًا على الدفاع عن آرائه، والتأثير في الآخرين، والمشاركة الفاعلة في النقاشات والحوارات.

وفي السياق التربوي يلعب التعبير دورًا محوريًا في العملية التعليمية، إذ يُعد من الوسائل الفعالة لتنمية الكفايات المتكاملة لدى المتعلم:

➤ **كفايات معرفية:** التعبير يُلزم المتعلم بفهم الموضوع، وتحليل المعطيات، وبناء محتوى منطقي.

➤ **كفايات لغوية:** من خلال الصياغة السليمة، واستخدام المفردات المناسبة، وتطبيق قواعد النحو والإملاء.

➤ **كفايات تواصلية:** لأنه لا يكتب أو يتحدث لنفسه، بل يتوجه بخطابه إلى جمهور محدد، مما يدفعه لتكييف لغته حسب الموقف والسياق، كما يساعد التعبير على الدمج بين المهارات المختلفة القراءة، الفهم، التحليل، الصياغة، النقد، والإبداع، وهو ما يجعله من أغنى الأنشطة التعليمية وأشملها.

إذن، التعبير ليس مجرد مهارة لغوية تقنية، بل هو فعل تواصلية حيوي يُؤثر ويتأثر، وكلما نمت قدرة الفرد على التعبير، ارتقى في تواصله، وتقدم في تفكيره، وأصبح أكثر قدرة على التفاعل الإيجابي مع العالم من حوله.

الخاتمة:

إن التعبير، بما يتضمنه من أبعاد لغوية وفكرية وتواصلية، لا يُعد مجرد مهارة لغوية تكميلية، بل هو ركيزة أساسية في بناء شخصية المتعلم وتشكيل وعيه، وتمكينه من التفاعل الفعّال مع محيطه، ومن هذا المنطلق، فإن تعليم التعبير والاهتمام به — سواء في جانبه الشفهي أو الكتابي — يجب أن يتجاوز التركيز على الشكل والصياغة، ليُصبح أداة لتنمية التفكير، وبناء المعنى، وتطوير القدرة على الحوار والتأثير.

فالتعبير الجيد لا ينبع فقط من إتقان اللغة، بل من القدرة على تنظيم الأفكار، وفهم السياقات، ومراعاة المتلقي، وتوظيف اللغة لخدمة الغرض، والمتعلم الذي يُتقن التعبير هو بالضرورة متعلم يمتلك أدوات الفهم العميق، والتحليل الدقيق، والإقناع الواعي، والإبداع الخلاق.

ومن هنا، فإن الارتقاء بتعليم التعبير هو استثمار في تنمية العقل، وتطوير الوعي، وتعزيز الكفاءة التواصلية لدى الناشئة، وهو ما يجب أن يكون في صميم العملية التربوية.